ماذا تعرف عن البكاء



جمع وترتيب السيّد

محمد بن علوي العيدروس

الملقّب سعد


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أبكى عيون الخائفين ، خوف الوعيد فجرت عيونهم كالعيون، وأجرى سحب المدامع من عيون أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فهم من خوف القطيعة يبكون ، جعلوا التقى لهم أفخر لباس، فأطار الخوف نومهم والنعاس ، فهم عندما يفرح الناس يحزنون، وقد جعلوا البكاء لهم دأباً، والدمع شراباً يقطعون حزناً ، والليل انتحاباً ، فهم عن البكاء لا يفترون .

فسبحان من أضحك وأبكى ، وأمات أحيا ، وعلم ما كان وما يكون، عاهدوا مولاهم فوجدوه وفياً ، وعاملوه فوجدوه ملياً ، فهم الذين إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ، قد عفر كل منهم في التراب وجهه المصون، فكلهم في حضرة الملك الديان ، يمطرون الدمع من سحائب الأجفان ، ويخرون للأذقان يبكون.

سمعوا ما قيل لأهل الصرف وألوفا إن لم تبكوا فتباكوا ، فهم من البكاء لا يملون ، أقلقهم الخوف فهم سائحون ، وأحرقهم الوجد فهم هائمون ، لزموا الحذر فهم في النهار صائمون ، وألقوا السهر فهم في الليل قائمون ،

يبكي كل منهم على زلته ، وكلهم يخافون سطوته ، وهم من خشيته مشفقون، فسبحان من ابتلى عباده بأنواع الابتلاء من جميع الفنون ..

ولم يعف من ذلك الأنبياء وهم المقربون فآدم عليه السلام بكى أربعين عاماً لما أُخرج من الجنة ، وهو أبو البشر وصاحب العرض المصون ، ويعقوب عليه السلام بكى على يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وداود عليه السلام بكى أربعين يوماً على خطيئته ، ولم يرفع فيها رأسه إلى السماء من خجلته فنودي يا داود أما الذنب فقد غفرناه وأما الود فلا يعود في الدنيا ولا يكون.

والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً وجعله داعياً بإذنه وسراجاً منيرا ، القائل : عن لذة المناجاة بحقيقة برهانٍ ، آثار أسرار أنوار (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً) فكان للقانتين القائمين الخاشعين منهجاً ونوراً وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم ما تعاقب الليل والنهار . أما بعد ..

فالبكاءُ والضّحكُ طريقتان إنسانيتان للتعبير عن العواطف ، وبعض الحيوانات يمكنها أن تئن أو تنتحب عندما تصاب بالأذى ؛ إلا أن الضحك يشمل خروج الدموع مع هذه العواطف ، ولا تستطيع الحيوانات القيام بذلك .

هذا لا يعني أنه لا يوجد للحيوانات الدمع السائل في عيونها إلاّ أنها تستخدمه لغسل قرنية العين ، وحتى الأطفال يبدأون بالبكاء فقط عندما يتعلمون التفكير والإحساس ، والرضيع يصرخ إلا أنه لا يبكي.

إن الضحك ظاهرةٌ إنسانيةٌ، وبعض الحيوانات تعطي انطباعاً بأنها تضحك ، إلاّ أنه لا يماثل أبداً الضحك الإنساني ؛ لأن ذلك يشمل عملية عقلية أو عاطفية.

أما الضحك فقد شغل كل وقتنا في حياتنا اليومية ولا داعي للخوض فيه، وأما البكاء فقد أصبحت العيون جامدة والقلوب قاسية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما أن شغل وقتنا الضحك واللهو والانشغال بالدنيا فصرنا ننسى الآخرة ولا نبكي على أعمالنا وأعمارنا التي تضيع سدى وكأن الموت على غيرنا قد كتب ، وصارت قلوبنا قاسية كالحجارة أو أشد قسوة .

جمعنا في هذه الصفحات ما إذا قرأناه لعل أن تخشع وتلين قلوبنا فنتشبه بالكرام ونقتدي بهم ونكون من الخاشعين والقانتين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون برحمتك يا أرحم الراحمين .

تعريف البكاء:

بكى [ب ك ي] : بكي يبكي بالكسر بكاءً ، وهو يمد ويقصر .

فالبكاء بالمد: الصوت . بالقصر : الدموع وخروجها .

وبكاه وبكى عليه بمعنى بكاه تبكية مثله وأبكاه إذا صنع بـه مـا يبكيـه ، وباكاه فبكاه إذا كان أبكى منه .

واستبكاه وأبكاه بمعنى تباكى تكلّف البكاء .

والبكى بفتح الباء : الكثير البكاء ، والبُكي بضم البـاء: جمـع بـاكٍ مثـال جالس جلوس إلاّ أن الواو قلبت ياء.

بكا: البكاء يمد ويقصر. قاله الفراء وغيره.

إذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكـاء ، وإذا قـصرت أردت الدموع وخروجها.

الآيات الواردة في ذكر البكاء

وقد جاء ذكر البكاء في القرآن الكريم في نحو تسعة مواضع لكن في آيتين انفردت بوصف عباد الرحمن الذين يبكون من خشية الله وخوفه في سورة الإسراء (١٠٧-١٠٩) وسورة مريم (٥٨).

١ قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة : ٨٣].

٢ قوله تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة : ٨٣]

٣ قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة : ٩٢].

٤ قوله تعالى ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يوسف : ١٦]

٥ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا

لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]

٦. في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨]

٧. قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الدخان: ٢٩]

٨. قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم: ٤٣]

٩. قوله تعالى ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النجم : ٦٠].

الأحاديث الواردة في البكاء وفضله

• قالَ رسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظلُّهُ : إِمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللهِ تَعالى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّق بالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلانِ تَحَابًا في اللهِ ، اجتَمَعا عَلَيهِ وتَفَرَّقا عَلَيهِ ، وَرَجَلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ ، فَقَالَ : إنِي أَخافُ اللهَ ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفاها حتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمالهُ ما تُنْفِقُ يَمِينهُ ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) . رواه البخاري ومسلم .

• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كلُّ عينٍ باكيةٍ يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله)) رواه أبو نعيم في الحلية ، وروي عن أبي هريرة بإسناد حسن.

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((ما أغرورقت عين بمائها – أي خوفاً من الله– إلا حرّم الله ذلك الجسد على النار ولا سالتْ قطرة على خدها فيرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ، ولو أن باكيا بَكَى في أمة من الأمم لرحموا وما من شيء إلا وله مقدار وميزان إلا الدمعة فإنه يطفى بها بحار من النار)).

• وفي الخبر المروي: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتلا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم ٦]، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ((أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت مظلمة لا يطفى لهيبها ، وكان بين يديه رجل أسود يهتف بالبكاء حتى خر مغشياً عليه فنزل جبريل عليه السلام ، فقال من هذا الباكي بين يديك ، فقال : هذا رجل من الحبشة ، قال: فإن الله عز وجل يقول : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي لا تبكي عينُ عبدٍ من مخافتي إلا كثرت ضحكها في الجنة)) .

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((عينان لا تمسهما النار عينٌ بكتْ في جوف الليل من خشية الله عز وجل ، وعين تحرس سرية في سبيل الله عز وجل)) رواه السيوطي في الجامع الصغير وصححه.

• وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : ((اللّهمّ ارزقني عينين هطالتين يبكيان الدمع من خشيتك قبل أن يكون الدمع دماً والأضراس جمراً))

• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين قطرة دمع من خشية الله ، وقطرة دم تهرق في سبيل الله)) .

• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بكاء الكبد والعين من الله)) رواه الديلمي.

• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بكاء المؤمن من قلبه ، والكافر من هامته)) رواه الطبراني .

• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بكاء المؤمن من قلبه ، وبكاء المنافق من هامته)) رواه البيهقي والطبراني وأبي نعيم في الحلية.

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((بكاء العيون وخشية القلوب ورحمة الله)) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((البكاء من خشية الله نجاة من النار)) رواه الديلمي في مسند الفردوس.

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((البكاء لا حرج فيه)) رواه الديلمي في مسند الفردوس.

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((بكاء أهل الكافر عذاب عليه بعد موته)) رواه الديلمي في مسند الفردوس.

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان)) حديث صحيح.

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((البكاء موكل بالقول)) رواه البيهقي

• وقال صلى الله عليه وسلم : ((ما من عبد يخرج من عينيه دموع من خشية الله تعالى فتصيب شيئاً من حر وجهه إلا حرمه الله تعالى على النار)) .

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : ((اقرأ عليّ القرآن ، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال: إني أحبُّ أن اسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] قال : ((حسبك الآن)) فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان)) . متفق عليه.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جنهم)) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

• وعن أنس رضي الله عنه ، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط ! فقال: ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)) قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين)) متفق عليه.

• وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه، قال:((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المِرجَل من البكاء)) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي في الشمائل بإسناد صحيح.

• وعن أنس رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبيّ ابن كعب رضي الله عنه: ((إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال : وسماني . قال : نعم فبكى)) . متفق عليه، وفي رواية فجعل أُبَيٌّ يبكي .

• وعن أبي أمامة صُدىِّ بن عجلان الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ((ليس شيءٌ أحبُّ إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين، قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دمٍ تهراق في سبيل الله. وأمّا الأثران : فأثرٌ في سبيل الله تعالى ، وأثرٌ في فريضة من فرائض الله تعالى)) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

• وروى أبو داود ، والنسائي عن مطرَّف قال:((رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ، وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء)).

• وروى أبو الشيخ عن علي رضي الله عنه ، قال: لقد رأينا - أي يوم بدر - وما فينا قائم يصلي إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة

يصلي وهو يبكي حتى أصبح.

• وروى عبد بن حميد وأبو الشيخ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلتي حتى دخل معي في لحافي وألزق جلدي بجلده ، فقال: ((يا عائشة ! ائذني لي في ليلتي لربي)) فقلت : إني لأحبُّ قربك ، فقام إلى قِرْبةٍ في البيت فما أكثر صبُّ الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره ، ثم اتكأ على جنبه الأيمن ، ثم وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض ، قالت: فجاء بلال فآذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ! أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : ((ألا أبكي وقد أنزل الله تعالى الليلة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] وويلٌ لمن قرأ هذه الآيات ولم يتفكر فيها)).

• وروى الحكيم الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: لمّا قدم وفد اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا: أسْمِعْنَا بعض ما أُنزل عليك ، فقرأ : ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ ﴾ [الصافات:١] حتى بلغ إلى قوله : ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات ١-١٠] وإن دموعه لتسيق إلى لحيته ،

فقالوا له: إنا نراك تبكي أمن خوف الذي بعثك تبكي ؟ قال: ((بلى من خوف الذي بعثني أبكي إنه بعثني على طريق مثل جدَّ السيف إن زِغتُ عنه هلكتُ)) ثم قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ ﴾[الإسراء:٨٦].

• عن أنس بن مالك ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فاسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به)). صحيح مسلم.

• وقالت أم سلمة : لما مات أبو سلمة ، قلت: غريب وفي أرض غربة ، لأبكيه بكاء يتحدث عنه ، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه ، إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال:((أتريدين أن تدخلي الشيطان بيت أخرجه الله منه ؟ مرتين ، فكففت عن البكاء فلم أبكِ) صحيح مسلم.

• وعن عبدالله بن عمر ، قال: اشتكي سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن مسعود ، فلما دخل عليه وجده في غشية ، فقال: أقد قضى قالوا : يا رسول الله ! فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى، فقال ((ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب

ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم)). صحيح مسلم .

• وعن عبدالله : أن حفصة بكت على عمر فقال: مهلاً يا بنية ! ألم تعلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)). صحيح مسلم.

• وعن ابن عمر ، قال: لما طُعِنَ عمر أُغميَ عليه ، فصيح عليه ، فلما أفاق قال: أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال:((الميتُ ليعذبُ ببكاء الحي)). صحيح مسلم.

• وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: ذكر عن عائشة قول ابن عمر : الميتُ يعذبُ ببكاءِ أهله عليه، فقالت: رَحِمَ الله أبا عبدالرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه إنما مرَّت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازةُ يهودي ، وهم يبكون عليه ، فقال:((إنهم يبكون ، وإنه ليعذب)). صحيح مسلم.

• وعن أسامة بن زيد أن ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أُرسلتْ إليه وأنا معه وسعد وأحسب أبيّاً أن ابني أو ابنتي قد حضر فأشهدنا ، فأرسل يقرئ السلام ، فقال: قُل لله ما أخذ وما أعطى ، وكل شيء عنده إلى أجل فأرسلت نقسم عليه ، فأتاها فوضع الصبي في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعقع ، ففاضت عينا رسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له سعد : ما هذا؟ قال: إنها رحمة وضعها الله في قلوب من يشاء ، وإنما

يرحم الله من عباده الرحماء. سنن أبي داود.

• وعن سعد بن معاذ ، قال: دخلت على أنس بن مالك حين قدم المدينة فسلمتُ عليه ، فقال: ممن أنت؟ قلتُ: أنا واقد بن عمر بن سعد بن معاذ ، قال: إن سعداً كان أعظم الناس وأطولهم ثم بكى فأكثر البكاء ، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أكيدر صاحب دومة بعثاً فأرسل إليه بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب فلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم الله عليه وسلم ، ثم قام على المنبر وقعد فلم يتكلم ونزل فجعل الناس يلمسونها بأيديهم ، فقال:((أتعجبون من هذا ، لمناديل سعد في الجنة أحسن مما ترون)) . سنن النسائي (المجتبى).

• عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى ينقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت)) سنن ابن ماجة.

• وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا ، فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه ، فناجاه طويلاً ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً ، فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل

علينا، فتلقاه عمر (رضي الله عنه) فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله فقد أبكيتنا وأفزعتنا؟ فأخذ بيد عمر، ثم أقبل علينا، فقال: ((أفزعكم بكائي)) قلنا: نعم، فقال: ((إن القبر الذي رأيتموني أناجي قبر آمنة بنت وهب، وإني سألت ربي الاستغفار لها فلم يأذن لي، فنزل علي ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣] فأخذني ما يأخذ الولد للوالد من الرقة فذلك الذي أبكاني، ألا وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة)) صحيح ابن حبان.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار)) وفي رواية لجرير، قال: ((فعصيته)) أخرجه في صحيح ابن خزيمة.

- وعن عامر بن سعد البجلي، قال: دخلت على قرظة بن كعب، وأبي مسعود، وزيد بن ثابت، فإذا عندهم جواري يغنين، فقلت لهم: أتقرون هذا وأنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: إن كنت تسمع وإلا فامض، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لنا في اللهو

العرس ، وفي البكاء عند الميت . مستدرك الحاكم .

• عن عبيد بن عمير رحمه الله : " أنه قال لعائشة - رضي الله عنها - : أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : فسكتت ثم قالت : لما كانت ليلة من الليالي .

قال : " يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي " .

قلت : والله إني أحب قُربك ، وأحب ما يسرك .

قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي .

قالت : فم يزل يبكي ، حتى بل حِجرهُ !

قالت : وكان جالساً فلم يزل يبكي صلى الله عليه وسلم حتى بل لحيته !

قالت : ثم بكى حتى بل الأرض ! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله تبكي ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : أفلا أكون عبداً شكورا ؟! لقد أنزلت علي الليلة آية ، ويل لم قرأها ولم يتفكر فيها ! ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠] رواه ابن حبان وغيره.

• وعن عاصم بن حميد السكوني أن معاذاً لما بعثه النبي إلى اليمن خرج

معه النبي صلى الله عليه وسلم يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ ، قال: ((يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري ، فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تبكِ يا معاذ للبكاء أوان ، البكاء من الشيطان)) أخرجه الإمام أحمد في مسنده

- وعن أبي أمامة ، قال: جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا ورفقنا ، فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء ، فقال: يا ليتني مِتُّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا سعد أعندي تتمنى الموت؟! فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال: ((يا سعد إن كنت خلقت للجنة فما طال عمرك أو حسن من عملك فهو خير لك)) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.
- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال: ((قد قضى)) قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا ، فقال: ((ألا تسمعون ، إن الله لا يعذب بدمع العين ، وبحزن القلب ؛

ولكن يعذب بهذا (وأشار إلى لسانه) أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)) وكان عمر رضي الله عنه يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثي بالتراب . صحيح البخاري.

• وعن جابر قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عبدالرحمن بن عوف فخرج به إلى النخل فأتى بإبراهيم وهو يجود بنفسه فوضعه في حجره ، فقال: يا بني لا أملك له من الله شيئاً وذرفت عينه ، فقال له عبدالرحمن : تبكي يا رسول الله أو لم تنهَ عن البكاء، فقال: ((إنما نهيتُ عن النوح عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان . إنما هذه رحمة ومن لا يَرحم لا يُرحم. يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وسبيل مأتيه وإن أخرنا لنلحق أولانا لحزناً عليك حزناً أشد من هذا وإنا بك لمحزونون ، تبكي العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب)) رواه البخاري في صحيحه.

• وعن زيد بن أرقم، قال: قال رجل: يا رسول الله بما أتقي النار؟ قال: ((بدموع عينيك فإن عيناً بكت من خشية الله لا تمسها النار أبداً)) .

• وعن أنس بن مالك ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أيُّها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتى تصير في

وجوههم الجداول فتنفد الدموع ، فتقرح العيون ، حتى لو أن السفن أرخيت فيها لجرت)) قال عقبة بن عامر : قلتُ: يا رسول الله ، ما النجاة؟ قال : ((املك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وأبكِ على خطيئتك)) .

• وعن عبدالله بن بحير ، قال: سمعتُ عبدالرحمن بن يزيد ، يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، وهو يقول: ((لا تنسوا العظيمتين ، قلنا: وما العظيمتان؟ قال : الجنة والنار)) فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر ، ثم بكى حتى جرى أوائل دموعه جانبي لحيته ، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو تعلمون من علم الآخرة ما أعلم، لمشيتم إلى الصعيد فلحثيتم على رؤوسكم التراب.

• حدثنا عباد بن منصور، قال: سمعت عدي بن أرطاة يخطبنا على منبر المدائن فجعل يعضنا حتى بكى وأبكى، فقال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: ((يا بني أوصيتك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال بني حتى نعمل عمل رجلين كأنهما قد أوقفا على النار ثم سألا الكره ، ولقد سمعت فلاناً - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله غيره، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: ((إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعة من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح ، قال : وملائكة سجود منذ خلق الله السماوات والأرض ، لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وصفوف لم

ينصرفوا عن مصافهم ، ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم ، فنظروا إليه تبارك وتعالى ، فقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك)) .

• وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه ، قال: لما نزلت {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة:١] بكى أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا أبا بكر ؟ قال : أبكتني يا رسول الله هذه السورة.

• وقالت عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب؟ قال : ((نِعم من ذَكَر ذنوبه فبَكَى)) .

• وأخرج البخاري وسعيد بن منصور وابن المنذر ، أن عمر صلى صلاة الصبح وقرأ سورة يوسف ، حتى بلغ إلى قوله تعالى { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف:٨٦] فسمع نشيجه .

• واستدل المصنف على جواز البكاء في الصلاة بالآية التي ذكرها لأنها تشمل المصلي وغيره.

• وعن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما أتى بطعامٍ وكان صائماً ، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خيرٌ مني ، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردةٌ إن غطى بها رأسه بدت

رجلاه، وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا قد خشينا أن تكون حسناتنا عُجّلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام . رواه البخاري.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال: لّما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له في الصلاة ، قال : ((مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس)) فقالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء ، فقال : ((مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس)) ، وفي رواية عن عائشة : قالت قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء . متفق عليه.

- وعن أنس رضي الله عنه ، قال: قال أبوبكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزروها ، فلما انتهيا إليها بكت ، فقالا لها : ((ما يبكيكِ ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: إني لا أبكي إني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيَّجتهُما على البكاء فجعلا يبكيان معها)). رواه مسلم .

الآثار الواردة في ذكر البكاء وفضله

• قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لأن أدمع من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار ! " .

• وقال كعب الأحبار : لأن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلى من أن أتصدق بوزني ذهباً .

• حدثنا عبدالرحمن بن حفص القرشي ، قال: بعث بعض الأمراء إلى عمر بن المنكدر بمالٍ ، فجاء به الرسول ، فوضعه بين يديه فجعل ينظر إليه ويبكي ، ثم جاء أبوبكر فلما رأى عمر يبكي ، جلي يبكي لبكائه ، ثم جاء محمد فجلس يبكي لبكائهما فأشتد بكاؤهم جميعاً . فبكى الرسول أيضاً لبكائهم ثم أرسل إلى أصحابه فأخبره بذلك ، فأرسل ربيعة بن أبي عبدالرحمن يستعلم علم ذلك البكاء فجاء ربيعة فذكر ذلك لمحمد فقال: محمد سله ، فهو أعلم ببكائه مني فأستاذن عليه ربيعة ، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من الأمير لك؟ قال: إني والله خشيتُ أن تغلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب ، فذاك الذي أبكاني ، قال فأمر بالمال ، فتصدق به على فقراء أهل المدينة ، فجاء ربيعة ، فأخبر الأمير بذلك فبكى ، وقال: هكذا والله يكون الخير .

• وعن سفيان ، قال: كان عمر بن عبدالعزيز يوماً ساكتاً وأصحابه

يتحدثون ، فقالوا له: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال : كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ، ثم بكى.

• سئل الجنيد : هل شيء أفضل من البكاء ، فقال: نعم البكاء على البكاء ، وهو أشبه بما قالته السيدة رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

• وقال أبو سليمان الداراني : عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر.

• وقال أيضاً رحمه الله : البكاء من الخوف والاضطراب من الرجاء والشوق .

• وكان محمد بن المنكدر رضي الله عنه ، إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ، فقيل له في ذلك ، فقال: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع .

• وقال أبوبكر الكناني رحمه الله: رأيت في المنام شاباً لم أرَ أحسن منه ، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا التقوى ، فقلت له : فأين تسكن ، فقال: في كل قلبٍ حزينٍ بكّاء .

• وقيل رأى يزيد الرقاشي في نومه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه، فقال له هذه القراءة فأين البكاء.

• وقال احمد بن أبي الحواري رحمه الله رأيت في المنام جارية ما رأيت أحسن منها يتلألأ وجهها بهاءً وجمالاً ، فقلت لها : ما أنور وجهك ، فقالت: أتذكر الليلة التي بكيت فيها من خشية الله عز وجل ، قلت: نعم ، قالت: حملت إلى دمعتك فمسحت بها وجهي فصار كما ترى.

• وحكى عن عطاء السلمي أنه كان كثير البكاء ، فسئل عن ذلك ، فقال: لِمَ لا أبكي ووثاق الموت في عنقي ، والقبر منزلي ، والقيامة موقفي ، والخصوم حولي يقولون لي: يا مرائي بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء.

• ولما احتضر عامر بن قيس رحمه الله بكى فقيل له ما يبكيك ، فقال : والله إنما أبكي على صيام آخر الصيف وقيام ليالي الشتاء .

• وبكى أبو الشعثاء رحمه الله عند موته : فقيل له : ما يبكيك ، فقال: اشتقت إلى قيام الليل.

• وبكى بعض العباد عند موته ، فسئل عن ذلك، فقال: أبكي بأن يصوم الصائمون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ويصلي المصلون ولست فيهم.

• وقال وهب بن منبه رضي الله عنه: سجد آدم عليه السلام على جبل الهند مائة عام يبكي حتى جرت دموعه في وادي سرنديب وانبت الله في ذلك الوادي من دموعه الدارصيني والقرنفل وغير ذلك من الطيب ، وجعل طير

ذلك الوادي الطواويس ، ثم جاءه جبريل عليه السلام ، فقال له: ارفع رأسك فقد غُفر لك ، فرفع رأسه وأتى الكعبة فطاف بها أسبوعاً فما أتمه حتى خاض في دموعه.

• كان فتح الموصلي رضي الله عنه يبكي الدموع فلما مات رؤي في المنام، فقيل له : ما فعل الله بك ، فقالك أوقفني الله بين يديه ، وقال لي: يا فتح هذا البكاء لماذا؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك ، قال فلم بكيت الدم، قلت: يا رب خوفاً على دموعي أن لا تصح لي ، قال يا فتح : ما أردت بذلك كله ، قلت: يا سيدي أردت بذلك وجهك الكريم فأرنيه واصنع بي ما شئت ، فقال: وعزتي وجلالي لقد صعد إلي حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة فلألبسنك لباس التكريم ولأمتعك بالنظر إلى وجهي الكريم .

• حدثني سواراً أبو عبيدة ، قال: قالت لي: امرأة عطاء السليمي عاتب عطاء في كثرة البكاء فعاتبه ، فقال لي: يا سرار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي غني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه تمثلت لي نفسي ، ثم كيف لنفس تغل يدها إلى عنقها وتسحب في النار أن لا تصبح وتبكي ، وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي . ويحك يا سرار ما أقل عناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله عز وجل.

• وعن زياد العنبري ، أن الله تبارك وتعالى ، قال: وعزتي لا يبكي عبد من خشيتي إلا أجرته من نقمتي ، وعزتي لا يبكي عبد من خشيتي إلا أبدلته ضحكاً في نور قدسي.

• وعن الحسين قال : إن العينين لتبكيان وإن القلب ليشهد عليهما بالكذب ، ولو بكى عبدٌ من خشية الله لرحم من حوله ولو كانوا عشرين ألفاً.

• وعن الحسن ، قال: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا يقطر من دموعه قطرة على الأرض حتى تعتق رقبته من النار ، ولو أن باكياً بكى في ملأ من الملأ لرحموا جميعاً ببكائه وله وزن إلا البكاء فإنه لا يوزن.

• حدثنا عتبة بن عبدالله الأصم ، قال: سمعت فرقد السبخي يقول : بلغنا أن الأعمال كلها توزن إلا الدمعة تخرج من عين العبد من خشية الله ، فإنه ليس لها وزن ولا قدر ، وإنه ليطفأ بالدمعة بحور من النار.

• وعن وهب بن منبه ، قال : البكاء من خشية الله مثاقيل بر ، ليس ثوابه وزناً إنما يعطى الباكي من خشية الله و الصابر على طاعة الله أجرهم بغير حساب.

• وعن خالد بن معدان ، قال: إن الدمعة لتطفئ البحور من النيران ، فإن سالت على خد باكيها لم ير ذلك الوجه النار ، وما بكى عبدٌ من خشية

الله إلا خشعت لذلك جوارحه ، وكان مكتوباً في الملأ الأعلى واسم أبيه منورٌ قلبه يذكر الله.

• وقال : حدثنا عمران بن خالد الخزاعي ، قال: سمعتُ فرقداً السبخي ، يقول: قرأت في بعض الكتب، قُلْ للبكائين من خشية الله: أبشروا فإنكم أول من تنزل عليكم الرحمة إذا نزلت.

• وعن أبي ميمون البراد ، قال: قال رجل للحسن: أوصني، قال: رطب لسانك بذكر الله ، وند جفونك بالدموع من خشية الله ، فقلّ من طَلَبْتَ لديه خيراً فلم تدركه.

• وحدثني صالح المري ، قال: بلغني عن كعب أنه كان يقول: من بكى خوفاً من ذنب غفر له ، ومن بكى اشتياقاً إلى الله أباحه النظر إليه - تبارك وتعالى - يراه متى شاء.

• وعن زاد أن ابن عمر ، قال: بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها ، ومن بكى شوقاً إلى الجنة سكنه الله إياها.

• سمعتُ يزيد بن أبان الرقاشي ، يقول: بلغني أنه من بكى على ذنب من ذنوبه نسي حافظاه ذلك الذنب ، ومن فاضت عيناه من خشية الله أُعطي الأمان يوم القيامة.

• سمعت أبا طالب القاص يحدث عن عطية العوفي ، قال: بلغني أنه

من بكى على خطيئته محيت عنه. قال عمرو : وحدثني الأشجعي عن أبي طالب عن عطية ، قال: وكتبت له حسنة.

• عن مالك بن دينار ، قال: البكاء على الخطيئة يحطُّ الذنوب كما تحطّ الريح الورق اليابس.

• سمعت عن عبدالواحد بن زيد ، يقول: يا إخوتاه ألا تبكون شوقاً إلى الله؟ ألا أنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه. يا إخوتاه ألا تبكوا خوفاً من النار ؟ ألا أنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها. يا إخوتاه! ألا تبكوا خوفاً من العطش يوم القيامة ؟ ألا أنه من بكى خوفاً من ذلك سقي على رؤوس الخلائق يوم القيامة . يا إخوتاه ! ألا تبكون؟ بلى ، فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله أن يسقيكموه في حظائر القدس مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصّديقين والشُهداء والصّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا . ثم جعل يبكي حتى غُشِي عليه.

• سمعت يزيد الرقاشي يقول: بلغنا أن الباكي من خشية الله تهتز له البقاع التي يبكي عليها وتغمره الرحمة ما دام باكياً.

• وعن أبي الجودي قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز: يا أبا الجودي ! اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله.

• وسمعت محمد بن واسع ورأى رجلاً يبكي ، فقال: بلغنا أن الباكي

مرحوم ، فمن استطاعه أن يبكي قليبك فلمثل ما يقدم عليه فليبك له.

• وسمعت أبا حازم يقول: بلغنا أن البكاء من خشية الله مفتاح لرحمته.

• وعن المفضل بن مهلهل ، قال: بلغني أن العبد إذا بكى من خشية الله ملئت جوارحه نوراً ، واستبشرت ببكائه ، وتداعت بعضها بعضاً : ما هذا النور ؟ فيقال لها: هذا غشيكم من نور البكاء.

• سمعت ابن ذر ، يقول: بلغني أن البكى من خشيته يبدل الله مكان كل قطرة أو دمعة تخرج من عينيه أمثال الجبال من النور في قلبه ويزاد من قوته للعمل ، ويطفأ بتلك المدامع بحور من نار.

• سمعت سفيان بن عيينة ، يقول : البكاء من مفاتيح التوبة ، ألا ترى أنه يرق فيندم ؟.

• حدثنا عبدربه أبو كعب صاحب الحرير ، قال: كنا عند معاوية بن قرة ، فذكر شيئاً فنحب رجل من ناحية المجلس ، فقال له معاوية بن قرة: أعطاك الله أملك فيما بكيت عليه ، قال: فارتجت الحلقة بالبكاء.

• سمعت فرقداً السبخي ، يقول: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا بكى من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولو أن عبداً جاء بجبال الأرض ذنوباً وآثاماً لوسعته الرحمة إذا بكى . وإن الباكي على الجنة

لتشفع له الجنة إلى ربّها فتقول: يا رب أدخله الجنة كما بكى عليَّ . وإن النار لتستجير له من ربّها فتقول: يا رب أجره من النار كما استجارك مني وبكى خوفاً من دخولي.

• كان فرقد السبخي قد يبكي حتى أضرَّ به ذلك البكاء ، وتناثرت أشفاره ، فقيل له في ذلك ، فقال: بلغني أن كل عين بكت من خشية الله لا يصيبها لفح النار يوم القيامة. قال : فكان يبكي ، ويبكي أصحابه.

• عن أبي عمران الجوني ، قال: لكل أعمال البر جزاء ، وفي كلها خير ، إلاّ الدمعة تخرج من عين العبد ، فليس لها كيل ولا وزن ، حتى يطفأ بها بحار من النيران .

• سمعت أبا عبدالرحمن المغازلي يقول: قال رجل ببلاد الشام في بعض تلك السواحل: لو بكى العابدون على السفقة حتى لم يبقَ في أجسادهم جارحة إلاّ أدت ما فيها من الدم والودك دموعاً جارية ، وبقيت الأبدان يبساً خالية تردد فيها الأرواح إشفاقاً ووجلاً من يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، لكانوا محقوقين بذلك ، ثم غشي عليه.

• عن البحتري بن يزيد بن جارية الأنصاري : أن رجلاً من العُبّاد وقف على كير حدّاد ، وقد كشف عنه ، فجعل ينظر إليه ويبكي ، قال: ثم شهق شهقة فمات.

• عن مالك بن دينار ، قال: دخلت مع الحسن السوق ، فمر بالعطارين ، فوجد تلك الرائحة فبكى ، ثم بكى ، حتى خفت أن يُغشى عليه ، ثم قال: يا مالك ! والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً الجنة أو النار ، ليس هناك منزل ثالث ، من أخطأته والله الرحمة صار إلى عذاب الله . قال: ثم جعل يبكي فلم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى مات.

• حدثنا أبو الهيثم بياع القصب ، قال: مررت أنا وسعيد بن جبير على بني الأشعث وإذا هم على طنافس ، وعليهم ألوان الخز ، فسلم عليهم ، فجعلوا يقولون له: مرحباً بأبي عبدالله ، ويسلمون عليه " اجلس " فلما ولى عنهم بكى حتى بلغ الكناسة بكاء شديداً ، فقلت: ما يبكيك ؟ قال : إنني ذكرت الجنة ونعيمها وشبابها حين رأيت هؤلاء.

• وعن بكر بن عبدالله المزني : أن أبا موسى خطب الناس بالبصرة ، فذكر في خطبته النار ، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر ، فبكى الناس يومئذ بكاء شديداً.

• حدثنا النضرة بن إسماعيل ، قال: مر الربيع بن أبي راشد برجل به زمانه ، فجلس يحمد الله ويبكي ، فمر به رجل ، فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال : ذكرت أهل الجنة وأهل النار ، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية ، وأهل البلاء بأهل النار فذلك الذي أبكاني.

• عن ابن أبي الذباب : أن طلحة وزبيراً مرّا بكير حدّاد ، فوقفا ينظران إليه ويبكيان ، قال: ومرّا بأصحاب الفاكهة والرياحين ، فوقفا يبكيان ويسألان الله الجنّة.

• قال النضر : وحدثنا الأعمش ، أن الربيع بن خيثم مر في الحدادين ، فنظر في كير فصعق .

• حدثنا عبدالعزيز بن علي الصراف : أن حسان بن أبي سنان قُدِم له سكر من الأهواز فربح فيه مالاً كثيراً ، فدخل عليه قوم من إخوانه يهنئونه بذلك ، فوجدوه في ناحية الحجرة يبكي ، فقالوا: يا عبدالله هذه نعمة من الله عليك ، ففيما البكاء؟ قال: إني خشيتُ والله أن يكون ذلك سُكراً فاستدراجاً وإني استغفر الله من نسياني ما ذكرني به ربي ومن غفلتنا عن ذلك.

• قال ابن مليكة جلسنا إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في حجر الكعبة ، فقالوا : بكوا فإن لم تبكوا فتباكوا لو تعلمون العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره ، ولبكى حتى ينقطع صوته ، وفي مناجات موسى عليه السلام لم يتصنع المتصنعون إليّ بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ، ولم يتعبد المتعبدون إليّ بمثل البكاء من خشيتي

• وعن سعيد بن الفضيل مولى بني زهرة ، قال: حدثني رجل من بني

ضبه ، قال: شهدت رجلاً قرأ عند عمر بن عبدالعزيز ، فلما انتهى إلى هذه الآية: {فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور:٢٧] ، فبكى عمر حتى أشتد بكاؤه، ثم ازداد بكاءً ، فلك يزل يبكي حتى غُشِي عليه.

• وعن عبد الأعلى بن أبي عبدالله العنزي ، قال: رأيت عمر بن عبدالعزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين ، قال: هكذا رحمكما الله ، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير:١] ، فقال: وما شأن الشمس؟ {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} حتى انتهى إلى {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} [التكوير:١٢ - ١٣] فبكى ، وبكى أهل المسجد وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه.

الأشعار الواردة في البكاء والحث عليه

قال الإمام الحبيب عبدالله بن علوي الحداد ، في قصيدة له وقد كان يبكي حقيقة لا مجرد شعر فقال :

تفـيض عيـوني بالـدموع الـسواكب
ومـا لي لا أبكـي عـلى خـير ذاهـبِ

عـلى العمـر إذ ولّى وحـان انقـضاؤه
بآمـال مغـرورٍ وأعـمال ناكـبِ

عـلى غُـررِ الأيـام لّمـا تـصرّمت
وأصـبحتُ منهـا رهـن شـؤم المكاسـبِ

عـلى زهـرات العـيش لّمـا تـساقطت
بـريح الأمـاني والظنـون الكـواذبِ

عـلى أشرف الأوقـات لمـا غبنتهـا
بأسـواق غـبن بـين لاهٍ ولاعـبِ

عـلى أنفـس الـساعات لمـا أضـعتها
وقـضيتها في غفلـةٍ ومعاطـبِ

عـلى صرفي الأنفـاس في غـير طائـل
ولا نـافع مـن فـضل عِلـمِ وواجـبِ

وبكى الشبلي رضي الله عنه فقيل له: ما يبكيك ؟ فأنشأ يقول:

وليس الذي يجري من العين مائها   ولكنّهـا روح تـذوب فتقطـرُ

ويبكي شاعر فيقول:

بكت عيني وحُقّ لها بكاها   على نفسي التي عصت الإله

فمن أولى بطول الحزن منها   وبالآثام قد غلبت قواها

فلا تقوى تصد عن المعاصي   ولا تخشى الإله ولا تناها

تتوب من المعاصي في صباح   وتنقض قبل أن يأتي مساها

ولله در الشاعر:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً   والناس حولك يضحكون سرورا

فاحرص على عمل تكون إذا بكوا   في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

وكثير يتماثلون في شعرهم بالبكاء و الدموع كما يقول بعضهم:

وإني لمغنٍ دمع عيني بالبكاء   حذار الذي قد كان وهو كائن

ويقول آخر وقد بالغ كثيراً:

سل المطر العام الذي عم أرضكم   أجاد بمقدار الذي فاض من دمعي

إذا كنتُ مطبوعاً على الصد والجفاء   فمن أين لي صبراً فأجعله طبعي

ويقول آخر في هذا المعنى أو مقاربه:

وكيف تنام العين وهي قريرة   ولم تدر في أي المحلين تنزل

وقال آخر:

مـــا رأيـت الهمـــوم تـــدخل إلا مــــن دروب العيـــــون والأذان

وقال الإمام البوصيري في البردة وهو يطالبك بالبكى من الآثام والمعاصي:

واســتفرغ الـــدمع مـــن عـــينٍ قـــد امتلئـت

مــــن المحــــارم والــــزم حميـــة النـــدم

ويقول آخر من يوم بكاء منه فوقع في يوم أشد منه فيقول ويتأسى على اليوم الذي مضى:

رب يـــوم بكيـــت منـــه فلـــما صرت في غـــيره بكيـــت عليـــه

ويقول آخر:

عـــلى نفـــسه فليبـــك مـــن ضـــاع عمـــره

ولـــيس لـــه منهـــا نـــصيبٌ ولا ســـهم

وقد بكت المروءة في هذا الزمان:

مـــررت عـــلى المـــروءة وهـــي تبكـــي

فقلــــت عــــلام تنتحــــب الفتـــاة؟

فقالـــت: كيـــف لا أبكـــي وأهــــلي

جميعـــاً دون خلــــق الله مــــاتوا

وكما قال القائل:

أنت بالصدق قد خبرت رجالاً ... قد أطالوا البكاء إذا الليل طالا
وملأت القلوب منهم بنور ... من نفيس اليقين يا من تعالى
وتوليتهم وكنت دليلا ... وكسوت الجميع منهم جمالا
فإذا ما الظلام حسن عليهم ... واصلوا بالكلال منهم كلالا
عفروا بالتراب منهم وجوهاً ... ذاك لله خشية وابتهالا
هجرت للمنام منهم عيون ... فاستطار المنام عنها فزالا
إنما لذة البكاء لمريدٍ ... اسلم الأهل والديار وحالا

وقال آخر:

بكيتك يا أخي بدمع عيني ... فلم يغنِ البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لي عظاتٍ ... وأنت اليوم أوعظ منك حيّاً

وقال الألبيري - رحمه الله - :

ولا تضحكْ مع السفهاءِ يوماً ... فإنّك سوف تبكي إن ضحكتا !
ومَن لك بالسرور وأنتَ رهنٌ؟ ... وما تدري أتُفْدى ؟ أم غُلِلْتا ؟!
ولو بكت الدّما عيناك خوفاً ! ... لذنبك لم أقل لك قد أمِنْتا !
ومَن لك بالأمان وأنتَ عبدٌ ... أُمِرْتَ فما ائتمرتَ ولا أطَعْتا!

حدثني الصلت بن حكيم ، قال: بتنا ذات ليلة عند صاحب لنا ومعنا أبو عبدالرحمن فجعل بعض قرائنا تلك الليلة يقول:

وما لي لا أبكي على الذنب إنني ... أرى الذنب داءٌ في الجوانح والقلب

صور من حياة نساء كثيرات البكاء

• كانت شعوانة العابدة (رحمها الله تعالى) تنوح كل ليلة وتبكي إلى الصباح فدخل عليها جماعة يوماً فقالوا لها : أرفقي بنفسك ، فقالت: والله لقد وددت أن أبكي الدم فضلاً عن الدموع حتى لا يبقى في جسدي قطرة من دم. وكانت تقول: اللهم اغفر لكل من تعرض لمعصيتك بعد معرفتك . وقد قالت مرة : اللهم بحبك لي إلا ما غفرت لي ، فقالوا لها: ومن أين عرفت أنه يحبك؟ فقالت: لولا محبته لي ما أقامني بين يديه في الظلام والناس نيام.

• وقد كانت معاذة العابدة (رحمها الله تعالى) تحيي الليل كله بالصلاة فإذا غلب عليها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يا نفس النوم أمامك في القبر إما في سرور وفرح وإما في عذاب وحسرة .

• وقد كانت أم العلاء السعدية (رحمها الله تعالى) تبكي وتصلي طول ليلها ، وتقول : ذنوبي كثيرة فلم تزل تبكي حتى ذهب بصرها.

• وقد بكت بردة العابدة (رحمها الله تعالى)حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك ، فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب.

• وقد كانت عفيرة العابدة (رحمها الله تعالى) لا تمل من البكاء ، فقبل

لها : أما تسأمين من كثرة البكاء ؟ فقالت: كيف يسأمُ إنسانٌ من دوائه وشفائه.

• وقد كان ذو النون المصري (رحمه الله تعالى) يقول: خرجت ليلة من وادي كنعان ، فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل فحققت النظر فإذا هي امرأة فقلت من هذا السواد؟ فقالت: ومن هذا الرجل؟ فقلت غريب. فقالت سبحان الله وهل مع الله غربة. قال ذو النون فبكيت من قولها ، فقالت: لو كنت صادقاً ما بكيت ، فقلت: وهل عدم البكاء من الصدق؟ قالت: نعم لأن البكاء راحة للقلب والصادق لا يطلب راحة في هذه الدار ، قال ذو النون : فعجبتُ من قولها ، وقلت لها عظيني بموعظة . فقالت: عليك بالحياء من الله تعالى فإن عطاء السلمي مكث أربعين سنة لا يرفع طرفه إلى السماء حياء من الله.

• وعن مسروق ، قال: قرأت عائشة هذه الآية : {فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور:٢٧] فبكت ، وقالت: ربِّ وقِنِي من عذاب السموم.

• وقد سمعت رابعة العدوية سفيان الثوري (رحمهما الله تعالى) يقول: واحزناه ، فقالت له : يا سفيان لا تقل ذلك لو كنت حزيناً لتفرغت لهذا القول، قل: وا قلة حزناه فإنه إلى الصدق أقرب.

• وقد مكثت ابنة محمد بن سيرين (رحمهما الله تعالى) عشرين سنة في مصلاها لا تقوم إلا للوضوء والصلاة فقط.

• وقد كانت معاذة العدوية (رحمها الله تعالى) تصلي في الليل الطويل فكانت تكل الرجال وهي لا تكل.

• وقد كانت رابعة العدوية (رحمها الله تعالى) لا تهدأ ولا تنام ولا تفطر حتى ماتت ، قال الداراني رحمه الله : صليت معها ليلة فلما كان الصباح قلت لها يا رابعة ما جزاء من وقوانا على قيام هذه الليلة ؟ قالت: أن نصوم له النهار ونقوم له الليل حتى نموت . اهـ تنبيه المغترين صـ ١٧٧.

• وقد كانت رملة العابدة (رحمها الله تعالى) تكثر الصوم حتى أسود جلدها وبكت حتى عميت وصلت حتى أُقعدت ، قال : إبراهيم الخواص رحمه الله : صليت معها ليلة ، فلما كان السحر سمعتها تقول: يا ليتني لم أخلق ثم تبكي. اهـ تنبيه المغترين صـ ١٧٨.

• وكانت حبيبة العدوية (رحمها الله تعالى) إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم تقبل على صلاتها إلى الفجر ، وكانت تقول في مناجاتها وهي تبكي: اللّهمّ اغفر لي سوء أدبي في صلاتي.

• وكانت عجرة العابدة (رحمها الله تعالى) تحيي الليل كلّه ، وهي مكفوفة ثم تنادي بصوت محزن: إلهي سارا العابدون إلى حضرتك وأنا خامدة العزيمة .

• وكانت عفيرة العابدة (رحمها الله تعالى) لا تضع جنبها إلى الأرض في ليل ولا نهار وتقول: أخاف أن أوخذ على غره وأنا نائمة.

فتدل هذه الحكايات على أن النساء أكثر وأسرع بكاء من الرجال. وفي هذا يقول الشاعر:

خلقنا رجالاً للتجلد والأسى وتلك الغواني للبكاء والمنازل

وكذا الأبحاث الحديثة تدل على أن النساء أكثر وأسرع بكاء من الرجال.

أسباب البكاء

• عن كعب ، قال: إن العبد لا يبكي حتى يبعث الله إليه ملكاً يمسح كبده بجناحه فإذا مسح كبده بكى .

• وعن مكحول ، قال: أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً.

• وعن فياض بن محمد ، قال: كان شيخ ههنا من قريش سريع الدمعة كثيراً ، وكان ما علمته من المتهجدين ، قليل الآثام ، معتزلاً للناس ، فذكرته يوماً لبعض علمائنا ، فقلت: هذا الشيخ طويل الاجتهاد ، وما أظنه اقترف إثماً منذ خمسون عاماً أو ما شاء الله ، ثم هو الدهر يبكي . فقال لي الرجل: ما ينبغي أن يكون مثله إلا هكذا ندي العينين دهره . قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن البدن إذا عري دقَّ فذلك القلب إذا قلّت خطاياه سرعت دمعته ، قال: فعلمتُ أن ذلك كما قال.

• حدثني مالك بن ضيغم الراسي عن أبيه ، قال: كان يقال: إن كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب ، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى ، والقليل من التذكرة يجزئه .

• وعن مسمع بن عاصم ، قال: سألتُ عابداً من أهل البحرين ، فقلت: ما بال الحزين يجيبه قلبه إذا شاء وتهمل عيناه عند كل حركة؟ فقال:

أخبرك عن ذاك : إن الحزين بدأبه الحزن فجال في بدنه ، فأعطاه كل عضو بقسطه ثم رجع إلى القلب والرأس فسكنتهما فمتى حرك القلب بشيء تحرك فهاجت الحرقة مصاعدة فاستثارت الدموع من شؤون الرأس حتى تسلمها إلى العين فتذريها حينئذ الجفون، ثم خنقته عبرته فقام.

• حدثني أحمد بن سهل ، قال : قال لي أبو معاوية الأسود: يا أبا علي أمن أكثر لله الصدق نديت عيناه ، وأجابته إذا دعاهما.

• وحدثني راهويه أبو سهل ، قال: قلت : لسفيان بن عيينه : ألا ترى إلى أبي علي - يعني فضيلاً - لا تكاد تجف له دمعة ؟ فقال سفيان: إذا قرح القلب نديت العينان ، ثم تنفس سفيان نفساً منكراً.

• وعن إسماعيل بن عياش ، قال: البكاء من سبع:

١- البكاء من خشية الله . القطرة منه تكفُ من النار أمثال البحور.

٢- ورجل فاضت عيناه من خشية الله.

٣- والبكاء من السرور.

٤- والبكاء من الكرب.

٥- والبكاء من السكر.

٦- والبكاء من الخوف.

٧- والبكاء من الألم.

أنواع البكاء وأصدقها

قال يزيد بن ميسرة رحمه الله:" البكاء من سبعة أشياء : البكاء من الفرح ، والبكاء من الحزن ، والفزع، والرياء ، والوجع ، والشكر ، وبكاء من خشية الله تعالى ، فذلك الذي تُطفِئ الدمعة منها أمثال البحور من النار! ".

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه " زاد المعاد " عشرة أنواع للبكاء نوردها كما ذكرها .

*بكاء الخوف والخشية .

*بكاء الرحمة والرقة .

*بكاء المحبة والشوق .

*بكاء الفرح والسرور .

*بكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتماله .

*بكاء الحزن .... وفرقه عن بكاء الخوف ، أن الأول " الحزن " : يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب وبكاء الخوف : يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك ، والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ، ودمعة الحزن : حارة والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يُفرح به هو " قرة عين " وأقرّ به عينه ، ولما

يُجزن : هو (سخينة العين)، وأسخن الله به عينه .

*بكاء الخور والضعف .

*بكاء النفاق وهو : أن تدمع العين والقلب قاس .

*البكاء المستعار والمستأجر عليه ، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها.

*بكاء الموافقة : فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون يراهم يبكون فيبكي ." زاد المعاد " .

والبكاء من خشية الله تعالى أصدق بكاء تردد في النفوس ، وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة .

قسوة القلوب وأسبابها

العين تتبع القلب ، فإذا رق القلب دمعت العين ، وإذا قسى قحطت ، قال ابن القيّم -- رحمه الله - في كتاب " بدائع الفوائد " : "ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب ، وأبعد القلوب من الله : القلب القاسي " . وكما قال صاحب الزبد :

وان ابعد قلوب الناس من ربنا الرحيم قلب قاسي

وكان كثير من السلف يحب أن يكون من البكائين ، ويفضلونه على بعض من الطاعات ، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " لأن أدمع من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار " .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من القلب الذي لا يخشع فيقول " ... اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها " . رواه مسلم .

فمن أسباب قسوة القلوب :

١. كثرة الكلام: قال بشر بن الحارث : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

٢. نقض العهد مع الله تعالى بفعل المعاصي وترك الواجبات .

٣. كثرة الضحك :" كثرة الضحك يميت القلب " رواه أحمد .

مرَّ الحسن البصري بشاب وهو مستغرق في ضحكه ، وهو جالس مع قوم في مجلس .

فقال له الحسن : يا فتى هل مررت بالصراط ؟!

قال : لا !

قال : فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلا النار ؟!

قال : لا !

قال : فما هذا الضحك ؟!

فما رؤُي الفتى بعدها ضاحكاً .

٤. كثرة الأكل : قال بشر بن الحارث : خصلتان تقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

٥. كثرة الذنوب : قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين / ١٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين / ١٤] . رواه أحمد.

وقال بعض السلف : البدن إذا عُـرِّي رقَّ ، وكـذلك القلـب إذا قلّـت خطاياه أسرعت دمعته .

عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله : مـا النجـاة ؟ مـا النجـاة ؟ قال: " أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك " أخرجه الترمذي .

٦. صحبة السوء : وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بنـافخ الكـير. البخاري، ومسلم .

بل حتى كثرة المخالطة تقسِّي القلب ، قال بعض السلف : وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة : الأكل ، والنوم ، والكلام ، والمخالطة .

وقد قيل " الصاحب ساحب " و " الطبع يسرق من الطبع " ، فمن جالس أهل الغفلة والجرأة على المعاصي سرى إلى نفسه هذا الداء : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان / ٢٧-٢٩] .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " رواه أحمد .

قال ابن حبان - رحمه الله - :

العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبة السوء قطعة من النار ، تُعقب الضغائن ، لا يستقيم ودُّه ، ولا يفي بعهدِه .

وقال أبو الأسود الدؤلي - رحمه الله - : " ما خلق الله خلقاً أضر من الصاحب السوء " .

أسباب وطرق تليين القلوب والبكاء من خشية الله

ويستطيع المسلم أن يليِّن قلبه ويدمع عينه بما يسمع ويقرأ ويرى ؛ وذلك - بعد توفيق الله تعالى -بالبحث عن الأسباب الموصلة لذلك ، وبقراءة سير السلف الصالح ومعرفة أحوالهم في هذا الأمر ، وسنذكر ما تيسر من الأسباب والطرق التي تلين القلوب لعلَّ الله أن ينفع بها ، ومن ذلك :

١ . معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله : فمن عرف الله خافه ورجاه ، ومن خافه ورجاه رق قلبه ودمعت عينه ، ومن جهل ربه قسى قلبه وقحطت عينه .

ومقامات الإيمان : الحب ، والخوف ، والرجاء ، وكل أولئك تدعو المسلم للبكاء .

قال أبو سليمان الداراني - كما ذكر عنه ابن كثير في ترجمته في " البداية والنهاية ": لكل شيء علَم وعلَم الخُذلان : ترك البكاء من خشية الله .

فإذا خذل الله العبد : سلبه هذه الخصلة المباركة ، وصار شقياً قاسي القلب وجامد العين .

فالمحب يبكي شوقاً لمحبوبه والخائف يبكي من فراقه وخشية فراقه والراجي يبكي لحصول مطلوبه فإذا أحببت الله دعاك حبُّه للبكاء شوقاً له ،

وإذا خفت منه دعاك خوفُه للبكاء من خشيته وعقابه ، وإذا رجوته دعاك رجاؤه للبكاء طمعاً في رضوانه وثوابه .

وإلى هذه الأمور الثلاثة - الحب ، والخوف ، والرجاء - أشار نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عيه وسلم قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " رواه البخاري، ومسلم .

ومعنى " ذكر الله " خائفاً أو محبّاً أو راجياً ، فإذا اتصف المسلم بهذا فهو سعيد وإلا فهو مخذول .

٢. قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته: قال الله تعالى - في وصف عباده العلماء الصالحين - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩ ﴾ [الإسراء :١٠٧-١٠٩] .

٣. كثرة ذكر الله عز وجل :عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ... - وذكر منهم : - ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)). رواه البخاري ومسلم .

قال ابن القيم :

إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى ، وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي ، قال : أذبه بالذكر ؛ وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل. " الوابل الصيِّب ".

٤ . الإكثار من الطاعات : قال أحمد بن سهل - رحمه الله - : " قال لي أبو معاوية الأسود : يا أبا علي من أكثر لله الصدق نَدِيت عيناه ، وأجابته إذا دعاهما " .

٥ . تذكر الموت ورؤية المحتضرين والأموات: وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ابنه إبراهيم ، حينما رآه يجود بنفسه ، فجعلت عيناه تذرفان الدموع ثم قال : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون " رواه البخاري ومسلم.

وعن صفية أن امرأة أتت عائشة تشكو إليها القسوة فقالت : " أكثري ذكر الموت يرق قلبك وتقدرين على حاجتك " قالت : ففعلت ، فوجدت أن قلبها رق ، فجاءت تشكر لعائشة رضى الله عنها .

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : أضحكني ثلاث و أبكاني ثلاث :

أضحكني : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك بملء فيه لا يدري أأرضى الله أم أسخطه .

و أبكاني : فراق أحب الأحبة محمَّد صلى الله عليه وسلم ، وهَول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية فلا يدري ألى الجنة أم إلى النار.

وكان سعيد بن جبير يقول : " لو فارق ذكر الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبنا " .

٦. أكل الحلال : سئل بعض الصالحين : بم تلين القلوب ؟ قال : بأكل الحلال .

٧. الابتعاد عن المعاصي : قال مكحول رحمه الله : " أرقُّ الناس قلوباً أقلهم ذنوباً " .

٨. سماع المواعظ : وقد انتشر في كثير من البلدان أشرطة لمشايخ ثقات يحسنون التأثير على قلوب الناس ، وقد كانت الخطبة المؤثرة والموعظة البليغة مما يوجل قلوب الصحابة ويُذرف دمع عيونهم .

٩. تذكر القيامة وقلة الزاد والخوف من الله : بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : " أما إني لا أبكي على دنياكم

هذه ، ولكن أبكي على بُعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي " .

روي أنه لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة ، بكى ، فقيل له : ما يبكيك؟ فقال : أبكي لتفريطي في الأيام الخالية و قلة عملي للجنة العالية و ما ينجيني من النار الحامية .

سئل عطاء السليمي : ما هذا الحزن ؟ قال : ويحك ، الموت في عنقي ، والقبر بيتي ، وفي القيامة موقفي ، وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنَع بي .

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت : زعم أنه يريد سفراً بعيداً ومالَه زاد .

١٠ . البكاء عند زيارة القبور : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً " . رواه أحمد.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :" زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى ، وأبكى من حوله " .

١١ . التفكر عند رؤية ما يُعتبَر كرؤية النار في الدنيا: عن مغيرة بن سعد بن الأخرم قال : ما خرج عبد الله بن مسعود إلى السوق فمر على الحدادين فرأى

ما يخرجون من النار إلا جعلت عيناه تسيلان .

١٢. الدعاء : وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من القلب الذي لا يخشع ، وقد سبق ذِكر اتصال العين بالقلب .

عن زيد بن أرقم قال لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . رواه مسلم.

ومن أراد أن تدمع عينه فله أن يدعو الله بذلك .

١٣. التباكي : عن ابن أبي مليكة قال : جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحِجر فقال : ابكوا ، فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا ، لو تعلموا العلم لصلَّى أحدكم حتى ينكسر ظهره ، ولبكى حتى ينقطع صوته . رواه الحاكم .

وعن التباكي قال ابن القيم - بعد ذكره أنواع البكاء - :

وما كان منه مستدعىً متكلفاً فهو التباكي وهو نوعان : محمود ومذموم فالمحمود : أن يُستجلب لرقة القلب ولخشية الله ، لا للرياء والسمعة ،

والمذموم : يُجتلب لأجل الخلق .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر : أخبرني ما يبكيك يا رسول الله ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما (أخرجه مسلم في صحيحه ضمن حديث مطول في الجهاد) .

ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال بعض السلف : ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا .

كيف نبكي ؟

يتصور معظمنا أن الوقت الوحيد الذي نبكي فيه هو أثناء شعورنا بالحزن ، فهل تعلم أننا نقوم بالبكاء حوالي ٢٥٠.٠٠٠.٠٠٠ مرة أثناء حياتنا.

دعونا نرى كيف يحدث هذا؟ إن أجفاننا عبارة عن طيّات من الجلد ترتفع وتنخفض كستارة المسرح عن طريق العضلات ، وهذه الستارة تتحرك بسرعة متناهية بحيث لا تؤثر على البصر ، ونحن لا نعرف ما يحدث فالأجفان تفتح وتغلق بشكل أوتوماتيكي كل ستة ثوانٍ خلال الحياة.

وتحتوي كل عين على غدة للدموع متوضعة فوق الزاوية الخارجية للعين ، وهناك أيضاً بعض القنالات التي تحمل الدموع إلى الجفن العلوي ، وقنالات تحمل الدموع من القسم الأمامي من العين.

وفي كل مرة ترمش فيها أجفاننا يحدث نوع من الامتصاص في قنالات الدموع التي تستهلك بعض السوائل .

والغرض من هذا إيصال السوائل إلى القرنية وتزويدها بالماء ومنعها من الجفاف ؛ ولكن إذا استخدمنا الاصطلاحات الميكانيكية فإن هذا العمل لا يختلف كثيراً عن البكاء إذ أن هذا ما يحدث وقت البكاء .

ألم تلاحظ عندما يضحك الإنسان بصورة مستمرة تنساب بعض الدموع من عينيه . والسبب في ذلك أننا عندما نضحك بشدة تشد العضلات بعض الغدد التي تخزن فيها الدموع ، وهكذا تبدأ هذه الدموع بالسيلان.

كلنا يعلم كيف أن الدموع تنساب بسبب البصل ، وسبب ذلك أن البصل يطلق مادة متطايرة ، وعندما تصل هذه المادة إلى أعيننا فإن العين تحمي نفسها من التهيُّج من هذه المادة بسيلان الدموع. فالدموع تغسل المادة المهيّجة ويحدث نفس الأمر عند التدخين فنحن نبكي بشكل أوتوماتيكي لحماية ونظافة أعيننا.

ولكن ماذا تعرف عن البكاء الحقيقي؟ وقت الحزن؟ فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يبكي للتعبير عن الحزن والعواطف . فالأشخاص المفكرون والحساسون عاطفياً هم الذين يبكون والأطفال يصيحون ؛ ولكنهم لا يبكون حتى يتعلموا التفكير والشعور.

فالذي يحدث هو أن عواطفنا بدلاً من التعبير عن أنفسها بالكلمات فإنها تُعرَّف بشكل ميكانيكية خاصة تُنتج الدموع فهي عبارة عن عمل منعكس يحدث رغم أنفسنا ؛ ولكن سبب حدوث ذلك هو أن الجسم يعبر عن نفسه بهذه الطريقة عندما لا نستطيع أولاً نريد استعمال الكلمات لنقل ما يشعر به.انتهى من كتاب أخبرني لماذا؟ صـ٣٨٨ .

الدموع تريح الجسم

أثبتت الدراسات العلمية من خلال إحصاءات أن ما بين كل ٤١ مريضاً بالقرحة المعوية يوجد ٣٣ شخصاً على الأقل أصيبوا بهذا المرض نتيجة لكبت مشاعرهم بالحزن وعدم التخلص منها بطريق الدموع فاختزلوها في أنفسهم مما أدى إلى إصابتهم بالقرحة في معدتهم .

مما تبين أن الذين يشعرون برغبة في البكاء ويقاومون هذه الرغبة لسبب أو لآخر يعانون من اضطرابات عاطفية خطيرة.

من هنا فالبكاء ليس ضرورة فسيلوجية فحسب بل هو أيضاً ضرورة سيكلوجية في الوقت نفسه . اهـ من كتاب س ج ص٣٥٧٤.

البكاء دواء

لا تحاول كبت دموعك : لا تؤجل بكاءك عند مواجهة أي مشكلة تقابلك ، نصيحة يقدمها لك علماء الطب النفسي .

فالبكاء كما يراه هؤلاء العلماء يعتبر أفضل دواء للأعصاب المتوترة المشحونة كما أنه ينقذ إمرأة العصر الحديث من الضغط العصبي الذي تعانيه وهي تواجه مشاكل الحياة اليومية .

نفس الفكرة يراها أساتذة طب العيون ففي رأيهم أن انسياب الدموع يخفف الأحزان وينظف العين كما أن الدموع تفرغ الشحنات السامة التي تحدثها التوترات العاطفية والانفعالات وحبس الدموع يعني التسمم البطي.

فوائد الدموع

وللدموع عدة فوائد :

- الدموع ترطب غشاء الملتحمة الذي يغطي العين وتسمح بالليونة في حركة الجفون .
- تغسل أولا بأول مواد غريبة تدخل العين مثل الأتربة والدخان .
- تغذي قرنية العين التي ليس بها أوعية دموية والقرنية تعتمد في جزء كبير من غذائها على السائل الدمعي .
- تمكن القرنية من أن تؤدي وظيفتها على أكمل وجه ...
- السائل الدمعي يحتوي على أنزيم خاص يقضي على الميكروبات التي تدخل العين ولذلك يحمي العين ...

نصيحة علماء النفس :

وبقدر ما هيئت المدنية الحديثة الرفاهية لإنسان العصر الحديث بقدر ما ساهمت في تحطيم أعصابه وسلبته راحة باله وهدوءه وهو في أصعب الظروف لا يبكي حتى لا يبدو ضعيفا مستكينا .

ولكن أطباء علم النفس ينصحون المرأة بل والرجل بالبكاء فهو أفضل علاج للأعصاب المتوترة المشحونة باستمرار كما انه ينقذ من الكبت الذي يعانيه إنسان العصر الحديث ، وهو يواجه مشاكل الحياة اليومية والدموع هي الخطوة الأولى لإزالة التوتر وتفريغ الشحنة التي يسببها الإرهاق والتعب .

وفي رأي أخصائي الطب النفسي أن الدموع هي أحد المظاهر الرئيسية للتعبير العاطفي وتتفاوت نسبة البكاء وانذراف الدموع من شخص لآخر تبعا لتعوده ونوع شخصيته وتبعا لمدى التأثر العاطفي بالموقف المسبب لذلك وكذلك تبعا لدرجة نضجه النفسي وصلابته .

والبكاء والدموع لها وظيفة نفسيه هامة في الترويح عن النفس وإخراج الشحنة العاطفية الكامنة لدى المرأة..

فالمرأة الباكية الدامعة أقل توتراً وأكثر اطمئناناً وهدوءاً من المرأة الكتوم المتحاملة على نفسها ...

وواضح هنا مدى الارتياح النفسي الذي يشعر بـه الفـرد عنـدما تنتابه حالة من البكاء المستمر لفترة بسبب أو بدون سبب ظاهر .

فالبكاء صحة والدموع تغسل النفس وتطهرها من الرواسب العاطفية الكامنة بها والتي تؤلمها وتؤرقها وليست هناك أية غضاضة في أن تبكي المرأة أمام الآخرين بل الخطأ هو حبس المشاعر لدرجة ظهورها في صورة عرضية نفسية مختلفة .

ومن الملاحـظ أن دمـوع المـرأة أكثـر مـن الرجـل وذلـك لان تعبيرها العاطفي أكثر وضوحاً وأشد قوة .

عزيمة لبكاء الأطفال

تكتب على ورقة بسم الله الرحمن الرحيم اليوم نختم على أفواههم. بسم الله الرحمن الرحيم هذا يوم لا ينطقون. بسم الله الـرحمن الـرحيم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا بـسم الله الـرحمن الـرحيم أفمـن هـذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكـون وأنـتم سـامدون بـسم الله الـرحمن الرحيم له معقبات من بين يديه ومـن خلفـه يحفظونـه مـن أمـر الله بـسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ثم توضع في ماء ويشرب الماء .

أجمل الدموع؟

قد تصيبكم الدهشة أن تكون للدموع معنى وجمال ، دائـمًا نتمنـى أن لا نـرى عـلى وجـه أقـرب النـاس و أحـب الأصـدقاء ... وأغـلى النـاس دموع تجري كأنها لحظة ألم يعصر القلب .

أجمل الدموع :

- أجمل دمعه لحظة فراقك المعصية.
- أجمل دمعة لحظة التوبة بعد المعصية.
- أجمل دمعه لحظة رفضك أصدقاء السوء.
- أجمل دمعه لحظة الأخذ بيد صاحبك.
- أجمل دمعه لحظة سجودك.
- أجمل دمعه لحظة ركوعك.
- أجمل دمعه لحظة الدعاء بخشوع.
- أجمل دمعة لحظة استجابة الدعاء
- أجمل دمعه لحظة عمل الخير.
- أجمل دمعه لحظة مواساة الغير.
- أجمل دمعه لحظة مسح رأس اليتيم.
- أجمل دمعة لحظة سماع خبر سار.

- أجمل دمعه لحظة لقاء الأهل بعد فراق.
- أجمل دمعه لحظة عيونك تشوف الكعبة.
- أجمل دمعة لحظة سلامك على قبر الرسول.
- أجمل دمعه في جوف الصلاة.
- أجمل دمعه لحظة رضا والديك.
- أجمل دمعه لحظة شفاء والديك.
- أجمل دمعه لحظة صيامك بحق.
- وأعظم وأجمل دمعة لحظه فوزك بالجنة

و تبقى أجمل دمعة هي دمعة الخشوع لله سبحانه و تعالى...التي تكون سببا إن شاء الله في أعظم دمعة و هي الفوز بالجنة..

لماذا نبكي ؟

(من بحث سيكولوجية البكاء)

يرتبط البكاء غالبًا بالضعف، فهما متلازمان سواء كان الضعف مرضًا أو وفاة عزيز أو أزمة أو غير ذلك، لأن البكاء في أصله استغاثة، فالصغير عندما يبكي ويرتفع صوته ويجهش فإنه يستغيث، وينجح في أن يحرك في الأم كل عواطف الأمومة فتهرع لحمايته، ويقول علماء النفس أن صرخة الطفل تفتح قلب الأم، فمن فضل الله علينا أن جعلنا نبكي حتى نحصل على الحماية والرعاية والعطف، وقد دلت الدراسات النفسية على أن الطفل في سن الثالثة يبكي في حضور أمه أكثر مما يبكي إذا كان بمفرده، بل أن كثيرًا من الأطفال يكونون هادئين فإذا ظهرت الأم بدأوا يبكون، وهذا معناه أن البكاء له وظيفة فإذا انقطعت صلة البكاء بوظيفته انقطع البكاء، فالمقصود بالبكاء تحريك الآخرين، فإذا كان الآخرون غير موجودين فإن البكاء يفقد وظيفته ويختفي.

والإنسان عندما يبكي فإنه يعبر عن ضعفه واحتياجه إلى الأمان والراحة، فلا يجد غير الدموع تنفيساً عما يعانيه من ألم نفسي وضغوط عصبية، لذلك وضع قدماء المصريين تقاليد الجنائز عند الوفاة حيث يجتمع الناس ويبكون ويستبكون ويحمس بعضهم بعضًا، وبذلك تكون الجنائز فرصة

لتفريغ شحنات انفعالية عند الكثيرين، ولا زال بعضاً من ذلك سائداً في كثير من المجتمعات العربية حتى الآن خاصة بين النساء.

وبكاء الشخص عند وفاة عزيز عليه نوع من الضعف واليأس، ومعناه انعدام القدرة على عمل ما ينقذ الموقف وغرضه اللاشعوري استدرار عطف الآخرين، فقريب المتوفى مثلا يكون متأثراً وحزيناً دون أن يبكى عادة وهو بمفرده، فإذا التقى مع قريب آخر أو صديق بكى الاثنان معاً، فالبكاء يظهر عادة بالالتقاء الذي يصحبه التجاوب بين الأشخاص، فنحن عندما نرى الآخرين يبكون يتولانا ميل إلى البكاء ونبكى في الغالب بالفعل، وهكذا تصطخب الجنائز بالبكاء، ولهذا يجتمع الناس للبكاء، ولو أنهم يقولون عادة أن كلاً يبكى على حاله أو مأساته الخاصة.

المرأة أكثر بكاء من الرجل

يؤكد العلم الحديث أن المرأة أكثر بكاء من الرجل بسبب زيادة عدد الغدد الدمعية لديها وغزارة إفرازاتها عن الرجل، والحقيقة أن الدموع تاج على رأس المرأة لا يعرفه إلا الرجل، فالمرأة عندما تبكي فإنها تخفف من توترها العصبي وترتاح بدموعها، ولذلك فالدموع لها نعمة، أما الرجل فإنه لا يعرف كيف يبكي، فالتربية الشرقية تزرع بداخله منذ الطفولة أن الدموع للنساء وأنها ضعف وعيب يجب أن يخجل منه، ولذلك فالرجل يغلي من الداخل تماماً كإناء يغلي ويتبخر ويحتبس بخاره بداخله، أما الغليان داخل المرأة فيتحول إلى قطرات دموع تنفس بها عما بداخلها من غليان، لذلك تنفجر المرأة بالدموع، ولكن الرجل ينفجر فقط!! ، وقد يموت الرجل من همٍّ واحد ينفجر بداخله، ولا تموت المرأة من عشرات الهموم، لأنها تبكي فتريح أعصابها أولا بأول، لذلك يقول بعض الفلاسفة أن المرأة أطول عمراً من الرجل لأنها أكثر منه بكاء وأغزر دمعاً.

فالبكاء نوع من التفريغ والتفريج النفسي الذي يريح أعصاب المرأة ويجعلها أصح وأسلم من الرجل الذي إعتاد ألا يبكي- بحكم التربية- وهى

غلطة تربوية كبيرة، فيجب أن نترك الطفل يبكي ففي ذلك تخفيف من توتره العصبي، فالبكاء سلوك صحي وعلاج سريع لأغلب المتاعب النفسية.

صور من البكاء

وإذا كان البكاء من الأمور السيكولوجية الشائعة لدى جميع البشر، إلا أنه كأي ظاهرة نفسية قد يكون ظاهرة صحية أو مرضية، ويرجع ذلك إلى تنوع أشكال البكاء وتعدد صوره وألوانه ودرجاته ووظائفه، فبكاء الطفل نتيجة شعوره بالجوع أو المرض بكاءاً صحياً يجعلنا ننتبه إلى حاجاته ونشبعها له، ولكن بكائه المستمر نتيجة الإفراط في التدليل أو لرغبته في تنفيذ كل طلباته وأهوائه لا يمكن أبدًا أن يكون بكاءًا صحياً، وكذلك بكاء الإنسان نتيجة استشعاره لعظمة الله وجلاله وخوفاً من قدرته وبطشه، لا يمكن أن يتساوى مع بكاءه ليخدع الآخرين ويكذب عليهم ليحقق مآرب أخرى في نفسه.

ومن الصعب الإحاطة بجميع أشكال وصور البكاء لدى جميع البشر، فالبكاء ظاهرة نفسية تتنوع مظاهرها وأسبابها ووظائفها بتنوع واختلاف نفسيات البشر ذاتهم، ولذلك سنكتفي بالإشارة إلى بعض الصور الشائعة من أنواع البكاء.

البكاء من خشية الله

أفضل أنواع البكاء وأكرمها على الله عز وجل ما كان من خشيته وخشوعًا لآياته وخضوعًا لقدرته تبارك وتعالى، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الباكين من خشيته الخاشعين له. وقد تقدم ذكره في الأحاديث والآثار الواردة في البكاء .

بكاء الندم

بكاء الندم أشد أنواع البكاء مرارة وقسوة على النفس، فهو اعتراف بالعجز والذنب والتقصير وظلم النفس أو الغير، فالعبد المذنب عندما يتوب يبكى ندمًا على ذنبه، بل إن الفقهاء جعلوا البكاء ندماً دليلاً على صحة التوبة وقبولها، واعتبروا جمود العين دليلاً على عدم الصدق في التوبة.

وعادة ما يندم الإنسان كثيرًا في حياته، فهو يندم على ما فعله من أمور كان يجب ألا يفعلها، ويندم على ما لم يفعله من أمور كان يجب عليه فعلها، وهو يندم على ضياع الفرص من بين يديه هباء، ويندم على ضياع عمره منه بلا طائل، ويندم على فعل السيئات، كما يندم على فعل المعروف في غير أهله، وهو يعبر عن كل هذا بالبكاء، ودموعه هنا هي دليل الندم.

وقد نبه القرآن الكريم أنه يجب على الغافل المسرف على نفسه أن يبكى على ما قدم بدلاً من أن يضحك، يقول الله عز وجل ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة: ٨١ – ٨٢].

ويقول أيضاً : ﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النجم: ٥٧ – ٦٠].

وفى الحديث النبوي الذي رواه الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال :قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال :(أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وأبك على خطيئتك).فيجب على الإنسان أن يبكى ندمًا على ما قدم، وعلى إسرافه في حق نفسه، وفى حق الله، فهذا البكاء دليل على صدق الندم، وهذه الدموع تطهير لقلب صاحبها ونفسه.

بكاء الشفقة والرحمة

وهذا النوع من البكاء يشيع بين الناس رقيقي القلوب، غزيري المروءة، سريعي التأثر بمن حولهم، فأنت عندما ترى طفلاً صغيراً مريضاً أو عاجزاً فإنك قد تبكي شفقة ورحمة عليه، بل إن بعض الناس ليبكون تأثراً وشفقةً لمجرد رؤية حيوان يتألم أو طائر حبيس.

ويدخل في ذلك أيضًا بكاء الإنسان شفقة ورحمة على ذويه وأصدقائه وغيرهم عندما يصابون بسوء أو يكونون في موقف ضعف نتيجة مرض أو فاقة أو مصيبة أو غيرها، ومن أمثلة ذلك في السيرة النبوية الشريفة ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن عبادة فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .(متفق عليه).

وما روى أيضاً عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(رفع إليه ابن بنته وهو في الموت، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سعد :ما هذا يا رسول الله؟ قال :هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء). متفق عليه.

وكذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف :وأنت يا رسول الله؟

فقال :(يا بن عوف إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى، فقال :(إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

وهكذا نرى أن قلب الإنسان عندما تملؤه الشفقة والرحمة على مخلوقات الله تصبح الدموع أصدق وأنبل تعبير عن هذه الشفقة والرحمة.

بكاء الضعف والخوف

كما ذكرنا فإن البكاء والضعف متلازمان، والإنسان عندما يبكى فإنه يعبر عن ضعفه وقلة حيلته وحاجته إلى الحماية، لذلك يرى بعض علماء النفس أن البكاء لدى الكبار نوع من النكوص إلى مرحلة الطفولة، فالطفل يحتاج دائما إلى الحماية، ومن ثم فإن البكاء نكوص إلى المرحلة التي تتطلب الحماية.

ويصدر البكاء في حالات اليأس وفى الأزمات، غير أن حالات الضعف تشجع عليه أكثر، كما يقول الدكتور القوصي، ولابد أن يكون قد مر في خبرة القارئ ما مر في خبرتي فقد كنت أعرف رجلا لم يكن في العادة يبكى على ما أعلم، ولكنه أصيب بمرض شديد، وأضطر للاستسلام للفراش وساءت حالته فأصبح لضعفه أشبه بالأطفال في حاجة لمن يأتيه بغذائه ويعاونه في

قضاء حاجته. وقد زرته وهو على هذه الحالة فما كاد يراني حتى ابتلت عيناه ثم أغرورقت ثم انهمرت دموعه، فإذا بي أتأثر وأبكي معه، ثم فكرت بعد انصرافي من زيارته عن السر في هذا البكاء، فأدركت أن زيارتي له قد ذكرته بما كان عليه من صحة وقوة، فعزت عليه نفسه ولعله شعر باليأس من الشفاء وبأنه يسير نحو القدر المحتوم، فلا الطب يسعفه ولا أصدقاؤه يساعدونه ولا أولاده ينقذونه، فبكى استدراراً لعطف الله عليه وإعلاناً لضعفه وخوفه.

وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه خائفاً من شيء ما، كعدو يترصده، أو مجهول يتهدده، أو مستقبل غامض ينتظره، فيبكي خوفاً وجزعاً من هذا القادم الذي يشعر إزاءه بالضعف وقلة الحيلة، والإنسان الذي يتعرض للخوف الشديد كخبرة نفسية حادة ومؤلمة، يحاول أن ينفث عن خوفه ويقلل من توتره بالبكاء، وقد يصاب الإنسان بأمراض عديدة نتيجة لخوف شديد لم تتحمله أعصابه، بل أن زيادة الخوف إلى درجة لا يتحملها الإنسان قد تؤدى به إلى الوفاة، وهنا يكون للبكاء دوراً هاماً في إعادة التوازن النفسي للإنسان والتخفيف من حدة الخوف الذي يصيبه.

بكاء الأطفال

الأطفال أكثر المخلوقات بكاء، وللبكاء لدى الطفل وظائف ومسببات عديدة ،فالطفل يستخدم البكاء كوسيلة للتعبير عن احتياجاته أو خوفه أو مرضه، فإذا شعر بالجوع بكى طلباً للطعام، وإذا شعر بالبرد بكى طلباً للدفء، وإذا شعر بالألم أو المرض بكى تعبيراً عن ألمه ومرضه، وإذا أزعجه شيء أو خاف من شيء أو شخص ما بكى خوفاً، وإذا شعر بغياب أمه أو انشغالها عنه بكى طلباً لعطفها وجذباً لاهتمامها واستدراراً لحنانها ورعايتها.

وهناك أطفالاً يجعلون من بكائهم سلاحاً ماضياً ينالون به كل ما يريدون من أمهاتهم وآبائهم، فإذا رفض الأهل تنفيذ رغبة من رغباته فإنه يشهر في وجوههم سلاح بكائه المستمر فتضعف إرادتهم ويرضخون لرغباته وطلباته.

وإذا كان بكاء الطفل نعمة من الله عز وجل تجعلنا نهتم به ونعطف عليه ونرعى شئونه، إلا أن إساءة استخدام الطفل لهذه الوسيلة- كما ذكرنا- يجب أن يواجه من الأسرة ببعض الضبط والتحكم، حتى لا يشب الطفل مدللاً متعوداً على ضرورة إجابة كل طلباته وأوامره، مما يعرضه في المستقبل لكثير من الاضطرابات النفسية في حالة عدم قدرته على تحقيق رغباته وكل ما

يريده، فيتحول إلى شخصية غير سوية لا همَّ لها إلا التملك وإشباع الرغبات حتى ولو على حساب الآخرين.!!

بكاء الفرح

والبكاء ليس دائما قرين الحزن واليأس، وإنما هناك نوع من البكاء لا يظهر إلا في حالات الفرح الشديدة!! ، وهو ما يسمونه (دموع الفرح)، فكثير من الناس عندما يمر بخبرة سعيدة أو فرحة غامرة، لا يجد ما يعبر به عن هذه السعادة سوى البكاء، فالأم مثلا تبكي في ليلة عرس ابنتها فرحاً، والذي ينال تقديراً ما أو جائزة قيمة أو تكريماً طال انتظاره يبكي فرحاً بهذه اللحظة النادرة التي يمر بها، وكذلك الأب عندما يرى نجاح أبناءه وتفوقهم وتميزهم فإنه يبكي فرحاً بهم عندما يرى ثمرة تعبه وأحلامه تتحقق فيهم، فبكاء الفرح خبرة شعورية يمر بها الكثيرون في حياتهم، وتكون الدموع نوعاً من التعبير عن السعادة والغبطة.

وقد يكون من العجيب أن يقترن الفرح بالبكاء، والسعادة بالدموع، ولكنها حكمة الله الذي أضحك وأبكى أن تكون الدموع في هذه الحالة استثناء يدل على الفرح والسرور لا على الحزن واليأس، فسبحان من بيده مفاتيح السعادة والشقاء، وأسباب الضحك والبكاء.

بكاء الخديعة والكذب

والبكاء ليس دائماً صادقاً، أو نابعاً من عاطفة نبيلة، فهناك بكاء كاذب غرضه الخداع وإيهام الناس بما يخالف الحقيقة، وما أبلغ تصوير القرآن الكريم لهذا النوع من البكاء في قصة أخوة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث يقول الله عز وجل مخبراً عن ذلك: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٦ - ١٨]

فهم يبكون تصنعاً ليوهموا أباهم بما يريدون، والبكاء هنا نوع من الكذب لا يصدر عن عاطفة حقيقية، وإنما هدفه الخداع والتضليل، وهذا البكاء الخادع قد ينطلي على كثير من الناس فيصدقونه يتعاطفون مع صاحبه، ولكن المؤمن الفطن لا ينخدع بهذه الدموع الزائفة، وظهرت هذه الفطنة في رد أبيهم عليهم ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا ﴾ [يوسف: ١٨]

وكثيرة هي المشاهد التي نراها لهذا النوع من البكاء في حياتنا، فالمتسول الذي قد يعترض طريقك باكياً مستعطفاً مستدراً لإحسانك غالباً ما يكون كاذباً، والمرأة التي تحاول السيطرة على زوجها واستدرار عطفه بدموعها غالباً

ما تكون خادعة، بل أن القاتل أحياناً ليبكى على ضحيته خداعاً للناس وإيهاماً لهم ببراءته وصدقه وفى الأمثال العامية المصرية نجد مثلاً رائعاً يقول:(ضربني وبكى، وسبقني واشتكى) فالمعتدى الظالم يتخذ من دموعه وسيلة لخداع الناس وإيهامهم بعكس الحقيقة ليظنوا أنه المظلوم لا الظالم، وكما قلنا فإنه كثيراً ما تنطلي هذه الدموع الزائفة والبكاء الخادع على كثير من الناس.!!

بكاء السماء والأرض

والسماوات والأرض تبكيان على العبد المؤمن إذا مات وأنقطع عمله، وقد ورد ذكر بكاء السماء والأرض في القرآن الكريم في قوله عز وجل:

﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الدخان: ٢٥ – ٢٩]

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ما من عبد إلا وله في السماء بابان :باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه).

قال مجاهد :ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، قال :فقلت له أتبكي الأرض؟ فقال :أتعجب ؟ !وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟، وقال قتادة في هذه الآية : كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكي عليهم السماء والأرض.

وأخيراً .. ابكوا تصحوا !!

ومما سبق يتضح لنا أن للبكاء صور عديدة ووظائف كثيرة، وأنه غالباً ما يكون نوعاً من التنفيس والتفريج عن النفس المثقلة بالهموم، والقلب المكلوم المفعم بالأسى، فدموع الإنسان راحة لقلبه وسكن لنفسه وترويح عن أعصابه، والبكاء وسيلة فعالة لاستعادة الإنسان لهدوئه واتزانه النفسي، وهو نعمة كبرى من نعم الله عز وجل، وآية من آياته سبحانه في النفس البشرية، ولولاه لمات الإنسان كمداً، ولأضحت حياته جحيماً من كثرة الضغوط والهموم، فسبحان من جعل من البكاء نعمة، ومن الدموع شفاء، وما أجمل قول الشاعر عن تقلب الإنسان ما بين الضحك والبكاء:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً
والناس حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا
في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

فلنحافظ على نعمة الله ولا نجحدها، ولنترك لأنفسنا العنان في البكاء كلما أحسسنا بحاجتنا إليه، ولنعلم أطفالنا أن يبكوا عندما يشعرون بالحاجة للبكاء، فما كانت الدموع يوماً عاراً على صاحبها، وما كان البكاء يوماً عيباً

نخجل منه، وكيف نخجل من نعمة منّ الله بها علينا رحمة منه بنا وتخفيفاً منه عز وجل عن نفوسنا المتعبة، فيجب ألا نخجل من دموعنا أبداً، فهي دليل على سواءنا العاطفي، واتزاننا الانفعالي ، وصحتنا النفسية، وحتى لو كانت الدموع دليلاً على الضعف فإنه خير لنا أن نبكي ضعفاً من أن نموت كمدا.

ونسأل الله تعالى أن يجعل قلوبا وجلة ، وأعيننا دامعة من خشيته .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الفهرس



المؤلف في سطور

هو السيد الشريف الفاضل : محمد بن علوي العيدروس ، الملقب (سعد)
ولد بتريم سنة ١٣٥١هـ ونشأ بها وأخذ عن جملة من علمائها وخصوصاً في رباط تريم ، ثم انتقل إلى عدن لكسب المعيشة ولقي بها قسوة من حكومة ذلك الوقت الشيوعية الحمراء حيث احتجزته في السجن بلا ذنب ولا إحترام كما عملت مع كثير من الصالحين ، ومع تلك المحنة التي مر بها قدّر الله له أن يحفظ كتابه الكريم في غياهب السجن ثم خرج منه بعد أن قضى فيه قرابة أربع سنوات وذلك عام ١٣٩٥هـ ورجع إلى تريم وأقام بها إماما في مسجد الإمام السقاف ومعلما للقرآن الكريم الذي وهبه الله إياه في معلامة أبي مريم، وتوالى عليه الطلاب مع شدة ظلمة الشيوعية في ذلك الزمن ولازال المعين جار. شغف المؤلف بالقراءة والمطالعة والجمع حتى بلغت مؤلفاته نيف وسبعين كتابا .
شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات في البلاد .
طبعت له العديد من الكتب التي عمّت بها الفائدة والنفع والبركة منها:

- الآيات المتشابهات والمتماثلات والمتقاربات ..
- النيات .
- خواص أسماء الله الحسنى .
- علاج النسيان .
- كيف تتجر .
- إحياء السنن المهجورة .
- كتاب خاص للمرأة .
- الماء .. أصل الحياة .
- خمسمائة سنة من سنن الصلاة .
- إعرف نفسك .
- الشامل .. لما يريده الأمل .
- خواص البردة .
- دعاء مهم للإمتحان . متّع الله به وحفظه . . آمين

